ثانياً : العقاب

العقاب بشتى أنواعه: إحدى وسائل التربية التي لا ترتاح اليها النفس البشرية، ولا ينظر اليها احد بعين الرضا والقبول.

ولكنه مع ذلك قد يكون ضرورة من ضرورات التربية، يلجأ اليها « الوالد » أو « المربي » أو « المسؤول » عندما تعوزه الحيلة ولا يجد بدا من معاقبة المسيء لردعه عن تكرار اساءته، وارتداع غيره من النظراء بالعقوبة الموقعة عليه.

ويرى كثير من الباحثين التربويين ان العقاب قد لا يفلح في تغيير سلوك الناشىء على النحو المرغوب فيه، وباقتناع منه بخطأ مواقفه.

فالاكثار مثلا من العقاب واللوم والتوبيخ قد يجعل الطفل يعتاد عليه، فلا يؤثر فيه، ولا يجعله يرعوي عما يقع فيه من أخطاء.

ويقول الامام الغزالي في شأن توجيه الطفل المسيء:
« ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه. »[1]

والأسلوب الأفضل تربويا هو التسامح مع الطفل عندما يخطىء في المرة الأولى ، وعدم هتك سرّه بعتابه علنا أمام نظرائه مما يجعله يستشعر المهانة والذلة ، واذا كان لا بد من عتابه فليكن سرّاً مع توجيهه وترشيده حتى يقتنع بخطئه فيعمل على تلافيه ، من نفسه ، مستقبلا .

ولا نستغرب أن تقود التربية القاسية ، القائمة على أسلوب العقاب ، الى خلخلة شخصية الناشىء ، ودفعه الى أن يكون منطويا سلبياً ذليلاً

---

(1) الغزالي / إحياء علوم الدين / مجلد 2/ جـ 8/ ص 1469

خانعاً ، أو الى أن يكون متمردا عاصياً متعجرفا مخرباً كلما سنحت له الفرص ، كما قد تحمل الناشىء على الكذب والمكر والمخادعة وإظهار ما لا يبطن ليغطي أخطاءه بغية النجاة من العقاب ، وهو ما يفسد أخلاقه وينقص من كرامته واعتزازه بذاته فيصبح عضواً مشلولاً في الجماعة غير صالح لنفسه أو لغيره .

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون :

« . . . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه او منزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين »[1]

ومهما يكن من تباين الآراء في شأن العقاب ، فان على الآباء والمربين مراعاة أن يكون العقاب من جنس الذنب المقترف أو الخطأ المرتكب ، بلا قسوة أو عنف وإلاّ أدى الى عكس ما يقصد منه ، وتسبب في تمرد « المعاقب » وحقده ، أو الى خديعته ومكره ، بدلا من أن يكون العقاب بأنواعه وسيلة للردع والتقويم والعبرة .

ولذلك فإن من واجب الآباء والمربين اذا اضطروا الى توقيع العقاب على الناشئين : بلوم او توبيخ أو عتاب ، أو حرمان من ميزة معينة ، مراعاة عدة أمور عامة نذكر منها :

ا— مراعاة العدالة في توقيع العقاب ، بحيث تكون العقوبات الموقعة متمشية مع روح العرف أو النظام او القانون او اللوائح وحرفيتها ،

---

(1) ابن خلدون / المقدمة / ص 1043

تجنباً لأي زيادة أو مبالغة فيها .

2— مراعاة تناسب العقوبات مع مستوى الذنب او الخطأ . وأن تستهدف أساسا تقويم المسيء المنحرف او المهمل ، وتذكيره وتنبيهه الى عدم العود ، لا إشعاره بالكراهية والانتقام منه .

3— مراعاة الحالة النفسية « للمعاقب » ، وظروفه الشخصية والبيئية . ومعرفة ما اذا تكرر وقوعه في نفس الذنب أو الخطأ . وتعود على ارتكابه ، أم كان من غير قصد منه ، فالعقاب كأسلوب تربوي تلجيء اليه الضرورة يجب أن يقود الى التقويم والاصلاح ، وإلا فإنه لا خير فيه .

4— مراعاة « النزاهة » في توقيع العقوبات على المخطئين بغض النظر عن مشاعر منفذي العقاب تجاههم . فلا إسراف في العقاب لكره المخطيء ، ولا تخفيف فيه لمحبته ، فموقع العقاب ، أباً كان أم مربياً ، إنما هو في نظر الناشيء « خصم وحكم » في آن واحد .

5— مراعاة أن يكون في « العقاب » عظة وعبرة للآخرين ، دون تشدد فيه أو قسوة . فاذا ما تسبب طفل في إتلاف بعض الأشياء في المنزل فقد يكفي حرمانه من بعض المزايا كالمصروف المعتاد لعدة أيام ، أو حرمانه من التنزه ونحو ذلك . واذا ما تسبب تلميذ في كسر بعض الأشياء في المدرسة مثلا فيكفي دفع ثمنه او استبداله بغيره ، وفي هذا العقاب ردع للمخطيء ولنظرائه عن العودة الى مثله .

6— مراعاة أن يكون العقاب من جنس الخطأ او الذنب ، حتى يستشعر الطفل العدالة في توقيعه عليه ، ويقتنع بخطئه فيحاول ألا يكرره مرة ثانية . فمثلا يكفي أن يعاقب طفل يزاحم أخوته في الدخول الى إحدى غرف البيت ، او يزاحم زملاءه في الدخول الى الفصل ، بأن يكون آخر من يدخل ، ففي هذا العقاب ردع له ولنظرائه من الوقوع في مثله ، مرة أخرى .

7— إفهام الناشئين بالأسباب التي دفعت الى معاقبتهم ، وتوضيح